

فى العءوان

مقدمة :

يمثل العءوان Aggression ظاهرة سلوكية قءيمة قدم الإنسان على هذه الأرض ، وقد أصبح الءوم ظاهرة واسعة الانتشار على المستوى العالمى ، ظاهرة تعاني منها معظم الءول سواء المتقدمة أو النامية ، واتسع الخرق فلم يعد العءوان مقصورا على الأفراد فحسب ، وإنما شمل الجماعات والمجتمعات ، وصار سلوكا لبعض الءول والحكومات تمارسه أو ترعاه وتصدره ، وانتشرت تعبيرات كثيرة فى وسائل الإعلام المختلفة من قبيل العنف والإرهاب والتطرف ، وكلها تشير الى مضمون واحد ، هو العءوان .

ولقد حظى العءوان باهتمام كبير من قبل المهتمين بالنفس البشرية كل حسب اهتمامه ومنطلقه الفكرى ، وبالتالي تعددت ، وتباينت تعريفات العءوان ، وتفسيراته ، فنجد فريقا من الباحثين يرى أن العءوان سلوك تدميرى فحسب من قبيل إلحاق الأذى بالآخرين أو بالذات ، أو إتلاف الأشياء ، وذلك عن طريق الفعل أو القول ، أو حتى عن طريق السلبية والانسحاب أسلوبا فى التعامل مع المشكلات ، ويمثل هذا الفريق – على سبيل المثال لا الحصر – كل من وارين Warren (١٩٣٤) ، ودريفر Dreyer (١٩٥٥) ، وباندورا Bandura (١٩٧٣) . فى حين أن هناك فريقا آخر يرى أن العءوانية ظاهرة نفسية تنطوى على جوانب إيجابية سوية ، كما تنطوى على جوانب تفكيكية غير سوية ، ويمثل هذا الفريق فرويد Frued (١٩٥٩) ، ومخيمر (١٩٨١) ، وسامية القطان (١٩٨٦) .

ويعد فرويد أو من تكلم عن العءوان وذلك فى مطلع هذا القرن وبالتحديد عام (١٩٠٥) عندما ظهر كتابه ثلاث مقالات فى نظرية الجنسية والذى تحدث فيه عن العءوانية بحسبانها غريزة الموت والتي تعمل جنبا الى جنب مع الجنسية بكونها غريزة الحياة ... ثم تتابعت بعد ذلك البحوث والدراسات عن ظاهرة العءوان وحظيت بقدر من الاهتمام فى النصف الثانى من هذا القرن وربما يكون هذا الاهتمام بسبب ما ظهر وانتشر من أشكال متباينة للسلوك العءوانى وذلك من قبيل العنف والتدمير والإرهاب والذى بلغ درجة كبيرة فى هذه الآونة .

ويرى محمد حسين أن العءوان معروف وملاحظ فى سلوك الطفل الصغير ، وفى سلوك الراشد ، وفى سلوك الإنسان السوى والإنسان المريض ، وإن اختلفت الءوافع والوسائل والأهداف والنتائج .

وبنظرة سريعة على ما ينشر من أخبار الحوادث فى المجتمعات المختلفة نجد أن العدوان ينتشر فى مجتمعات الأسر الممزقة ، والمجتمعات شديدة القهر ، وعند انهيار القيم الأخلاقية ، وغياب القدوة ، وضعف التعليم ، والفراغ الفكرى والدينى .

ويؤيد ذلك محمد حمودة مشيرا الى دراسة على القتلة شديدى العدوان حيث لوحظ أنهم مارسوا العدوان مبكرا ، وأنهم تعرضوا للإيذاء فى الطفولة ، وغياب النموذج الوالدى أو ضعفه ، وعدم استقرار الحياة الأسرية ، والازدحام السكانى .

فى الصفحات التالية سيقوم المؤلف باستجلاء أسباب العدوان وذلك من زوايا متعددة للرؤى من خلال نظريات ومدارس واتجاهات علم النفس المختلفة .

تعريف السلوك العدوانى :

يرى فرويد **Frued** (١٩٥٩) أن العدوانية هى واحدة من الغرائز التى يمكن أن تتجه ضد العالم الخارجى ، أو ضد الذات ، وهى تخدم فى كثير من الأحوال ذات الفرد .

ويعرف شابلن **Chaplin** (١٩٧٣) السلوك العدوانى بأنه هجوم ، أو فعل عدائى تجاه شخص ما أو شىء ما ، وهو نتيجة للإحباط وإظهار الرغبة فى التفوق على الغير ، وهو هجوم متطفل غير مهذب من قبل أحد الأطراف على الآخرين ، أو هو رغبة فى الاعتداء أو الإيذاء أو الاستخفاف أو السخرية أو الإغاظاة للآخرين بشكل مكرر بهدف إنزال عقوبة بهم .

ويرى عبدالمنعم الحفنى (١٩٧٥) أن العدوان هو " غريزة أو مبدأ متخيل ، يحرك سلسلة من الأفعال والانفعالات ، وينظر إليها كثيرا بوصفها نقيض الجنس أو الليبيدو ، وهنا يكون المعنى المقصود هو الدوافع المخربة .

ويذكر فاخر عاقل (١٩٧٩) أن العدوان هو أفعال ومشاعر عدائية ، وهو حافظ يستثيره الإحباط (التثبيط) ، أو تسببه الإثارة الغريزية ويذهب ويذهب مخيمر (١٩٨١) الى أن العدوانية السوية تخدم غرائز الموت بشكل غير مباشر ، بمعنى أنها تكون فى خدمة غرائز الحياة ايجابية أو توكيدا للذات (تذيلا مشروعا للمعوقات من الآخرين والأشياء أو عدوانية شبقية وانجابا ، أو بناء يبلغ حد الابتكار على المستوى الفردى ، ويتخذ صورة القيادة فى المواقف الاجتماعية) ، لتتأدى بها تدريجيا الى التدمير والعدم . بينما العدوانية اللاسوية تخدم غرائز الموت بشكل جد مباشر تدميرا عاجلا ومباشرا للذات أو عبر التدمير غير المشروع للآخرين والأشياء .

ويشير دريفر Dreyer (١٩٨٢) الى أن العدوان هو الهجوم على الآخرين وهو يكون عادة استجابة للمعارضة ، وبمعنى خاص للمدارس التحليلية هو اعتراض إما بسبب الرغبة في التحكم في الآخرين " أدلر Adler " ، أو أنه اسقاط لباعث الموت " فرويد

ويعرف إنجلش وانجلش English and English (١٩٨٣) السلوك العدوانى بأنه سلوك عدائى نحو الآخرين ، وقد يكون معنويا أو ماديا كمحاولة تخريب ممتلكاتهم .

ويذهب جولدسن Goldenson (١٩٨٤) الى أن العدوان هو سلوك يبتعث عن طريق الغضب والعداء ، أو من ناحية أخرى الشعور بالانهزامية (الفشل فى تحقيق أى نصر) ويتجه هذا السلوك نحو إيذاء وتدمير الآخرين ، وفى بعض الأحيان يتجه نحو تدمير الذات ، وطبقا لنظرية فرويد فإن الدافع العدوانى هو فطرى وغريزى ، وفى مجال دراسة الأنتروبولوجيا هو استجابة للعوامل الثقافية ، وعند دولارد وميلر فإنه رد فعل للإحباط ، أما العدوانية عند جولدسن فهى سمة سلوكية تتكون من توكيدية الذات ، والسيطرة الاجتماعية ، وأيضا الميل الى العدوانية .

ويرى برونو Bruno (١٩٨٦) أن السلوك العدوانى يحدث عندما يقوم شخص ما بشن هجوم عدائى إما بطريقة لفظية أو جسدية على شخص أو شىء . ويعتبر السلوك العدوانى شائع جدا لدرجة أنه من السهل أن نستدل على أن هناك ميل سلوكى فطرى (غريزى) لإظهار ذلك السلوك العدوانى . والفروض الخاصة بالإحباط – والعدوانية والتي تم تقديمها عن طريق ميلر ودولارد تشير الى أنه عندما يفشل الفرد فى تحقيق (الحصول على) هدف ما فإن هذا الإحباط يعمل على انبعاث استجابة عدوانية طبيعية .

ويوضح ستراتون وهايس Stratton and Hayes (١٩٨٨) أن مصطلح العدوان يستخدم بعدة استخدامات ، فهو يستخدم عامة كى يصف محاولة مقصودة لإيذاء الأفراد الآخرين ، ولم يتم التوصل حتى الآن الى تعريف متفق عليه ، ومرجع ذلك الى أن هذا المسمى يمكن أن ينطبق على سلوك الضرب ، وأحيانا على الحالة الانفعالية " الشعور بالعدوانية " ، وأحيانا أخرى على الرغبة فى الإيذاء .

ويذكر فرج طه وحسين عبدالقادر وآخرون (١٩٩٣) أن العدوان هو كل فعل يتسم بالعداء تجاه الموضوع أو الذات ، ويهدف للهدم والتدمير نقيضا للحياة فى متصل من البسيط الى المركب أو القصوى . معنى هذا أن العدوان هو كل فعل أو دافع يهدف للهدم والتدمير ولا يخدم الدافع الغريزى للحياة سواء أكان موجها تجاه الموضوع أو الذات ، ذلك أن الدفاع عن الأرض – على سبيل المثال - لا يمكن اعتباره عدونا يخدم الدافع الغريزى للموت ، وبالمثل فإن بعض النشاط الإنسانى (كالنشاط الجنسى مثلا) يتسم بمظهر عدوانى رغم أنها فى خدمة الدافع الغريزى للحياة .

ويعرف نبيل حافظ ونادر قاسم (١٩٩٣) السلوك العدواني بأنه سلوك يعرفه المجتمع أنه كذلك ، وينطوي على شيء من القصد والنية ، يأتي به الفرد في مواقف الإحباط التي يعاق فيها إشباع دوافعه ، أو تحقيق رغباته فتنابه حالة من الغضب وعدم الاتزان تجعله يأتي من السلوك ما يسبب أذى له أو للآخرين ، والهدف من ذلك السلوك تخفيف الألم الناتج عن الشعور بالإحباط والإسهام في إشباع الدافع المحبط ، فيشعر الفرد بالراحة ويعود الاتزان الى شخصيته .

ويتضح من خلال عرض مفهوم العدوانية أن غالبية الباحثين أمثال شابلن ، وعبدالمنعم الحفنى ، وفاخر عاقل ، وانجلش وانجلش ، وبرونو ، وستراتون ، وهاميس ، ونبيل حافظ قد تناولوا العدوانية في كل الأحوال باعتبارها عدوانية غير سوية ، عدوانية تدميرية سواء ضد الذات أو ضد الآخرين أو الأشياء . وتتبدى هذه العدوانية في أشكال متعددة كالنقد اللفظي ، أو تدمير الممتلكات ، أو الاعتداء على الآخرين وسلب حقوقهم ، أو تدمير الذات بشكل مباشر أو غير مباشر .

كما أوضح البعض الآخر أمثال فرويد ومخيمر وجولدسن وفرج طه أن العدوانية يمكن أن تكون عدوانية غير سوية تدميرية ، ويمكن أيضا أن تكون عدوانية سوية لها جوانب بناءة ومفيدة في سلوك الإنسان .

وبهذا نخلص الى أن العدوانية ليست عدوانية تدميرية غير سوية فحسب ، بل يمكن أن تكون أيضا عدوانية بناءة تخدم الفرد في شتى مجالات حياته ، كما أشار المؤلف في مستهل حديثه .

مظاهر السلوك العدواني :

قدم ساينفيلد Sappenfield (١٩٥٦) تصنيفا للعدوان ، فالعدوان في منظوره ينقسم الى :

* عدوان بدنى : أو مادي صريح ، ويتضمن إما إلحاق الضرر بشخص آخر ، أو ممتلكاته ، أو بما يشعر بقيمته من أشياء .

* عدوان لفظي : صريح مثل اللعن واللوم والنقد والسخرية والتهكم والإشاعات .

* والصور غير المباشرة للعدوانية : وتتمثل في إلحاق الضرر بموضوع العدوان دون أن يكون الفرد على وعى بالقصد أو النية العدوانية وراء تصرفاته . ومثال ذلك الآباء والمدرسون عندما يعاقبون أبناءهم أو طلابهم بهدف إعدادهم لحياة أكثر توافقا مع مستقبلهم .

وقام بص Buss (١٩٧٨) بمحاولة شاملة ارتكزت على تصور يميز بين عدوان الأدميين ، وعدوان الحيوانات ، فالأول ليس من الضروري أن يكون بدنيا أو ماديا فقد يكون لفظيا ، وليس من الضروري أن يكون مباشرا ، فقد يكون غير مباشر ، كما لا يشترط أن يكون نشطا Active فقد يكون سلبي Pasive ومن ثم فقد انتهى الى تصنيف من ثمانى فئات يرتكز على ثلاثة محاور هى : " لفظى - غير لفظى " ، " مباشر - غير مباشر " ، " نشط - سلبي " ، أما الفئات الثمان فهى :

- البدنى المباشر النشط : كالضرب لفرد .

- البدنى غير المباشر النشط : كالتعصب الآخر بلا إيذاء .

- البدنى المباشر السلبي : مثل إعاقة مسيرة أو اعتصام .

- البدنى غير المباشر السلبي : مثل رفض آراء ضرورية .

- اللفظى المباشر النشط : كإهانة فرد .

- اللفظى غير المباشر النشط : كترويح إشاعات مغرضة .

- اللفظى المباشر السلبي : كرفض الحديث .

- اللفظى غير المباشر السلبي : مثل رفض الموافقة على شىء ، شفويا أو كتابة .

وقد صنف سوكى Succi (١٩٨٢) العدوان الى ثلاثة أنواع من السلوك وهى :

* العدوان الجسدى المباشر Direct Physical Aggression مثل الشجار - اللطم - القذف بشىء .. إلخ .

العدوان غير المباشر Indirect Aggression مثل تحطيم ممتلكات الآخرين - سكب أشياء على الأرض - وإشارات الإغظة .

* العدوان اللفظى المباشر Direct Verbal Aggression مثل الاستفزاز اللفظى بكلمات القسم - التحدى - الإنتقاد والإذلال - التلفظ بألفاظ سيئة .
ويذهب ضياء منير (١٩٨٣) الى أنواع العدوان تتمثل فيما يلى :

* العدوان البدنى : وهو مهاجمة الآخرين بقصد إلحاق الأذى بهم باستخدام أعضاء البدن ، والسلاح كالعصا والسكين والمسدس .

* العدوان اللفظى : وهو الاستجابة اللفظية المؤذية والموجهة نحو الآخرين ، وتشمل جميع الألفاظ النابية والتهديد ومثل شتم الخصم بألفاظ مكروهة (فاسد) مثلا (مؤذ) .

* العدوان غير المباشر : وهو توجيه الإزعاج والأذى الى الخصم بطريق ملتو وذلك لتجنب الهجوم من الخصم وإخفاء شخصية المعتدى ، وهو إما لفظى مثل نشر الشائعات والنميمة ، وإما بدنى كإتلاف الممتلكات للخصم .

ويرى سعد المغربى (١٩٨٧) أن أشكال التعبير عن العدوان تختلف باختلاف السن والثقافة والمستوى الاقتصادى والاجتماعى ، فضلا عن أن أسلوب التربية ، والإنسان يستطيع التعبير عن نفسه بالصور اللفظية وغير اللفظية ، مستخدما كافة أعضاء جسمه ، فهو يعبر عن العدوان بقسمات الوجه بالتجهم والعبوس ، وبالعيون فى نظرات الاحتقار أو الخضوع ، وبالفم وبالعض والبصق والقيء ، وبأصوات الزرارية والاحتقار ، وباليدى والقدمين عند التلويح بالثأر والتهديد والانتقام ، فضلا عن استخدامها بالفعل إيذاء بالضرب والخنق والركل ، كما يأتى عن طريق الجسم كله بالإرتماء على الأرض والرفس والتشنج والإغماء سواء عند الصغار أو الكبار . وكذلك فى الصور اللفظية والتي تتمثل فى الصياح والصراخ وخاصة فى الطفولة ، كما تتمثل فى الألفاظ الجارحة والسباب والبذاءة ، وفى السخرية والتهكم والنكته ، وكذلك من صور التعبير عن العدوان نجد التمرد والعصيان والمخالفة والعناد والتحدى والتخلف والفشل فى العمل والإهمال ، والتجسس ، كذلك هو سلوك عدوانى هدفه معرفة أشياء لاستخدامها فى التهديد والإرهاب والابتزاز .

ويوضح محيى الدين حسين (١٩٨٧) أن بعض علماء النفس قد ارتأوا العدوان على أنه أى أذى بدنى أو مادى أو معنوى يلحقه شخص بآخر ، فعندما يعتدى طفل على آخر بالضرب مثلا فهذا عدوان بدنى ، وعندما يعتدى على ممتلكات طفل آخر (لعبه) مثلا فهذا عدوان مادى ، وعندما يعتدى على طفل آخر بالسب فهذا عدوان معنوى ، وقد ارتأى آخرون أن هذا التعريف غير واف ، فهو لا يتضمن بعض مظاهر وصور العدوان الموجهة على الذات ، فقد لا يقتصر أذى العدوان على الآخر ، ولذا يرى هؤلاء تقسيم العدوان الى عدوان ذاتى (موجه الى الذات) ، وعدوان على الآخرين . كما ارتأى بعض ثالث ضرورة أن يستوعب التعريف الصور المباشرة وغير المباشرة ، فالصور المباشرة هى أن يتم إلحاق الأذى على نحو صريح وبنية الأذى ، أما الصور غير المباشرة فهى التى لا يكون المعتدى على وعى بالقصد أو النية العدوانية مثلما يحدث عندما يوقع طفل طفلا آخر ويصيبه بالأذى أثناء اللعب . وهناك من ارتأى صورا أخرى كأن يكون العدوان صريحا أو ضمنيا ، فالعدوان الصريح هو الذى نتبينه بشكل واضح حال حدوثه (مثل

الركل ورمى الأشياء) ، أما الضمنى فهو الذى يأخذ شكل غير مباشر كأن يكون الفرد عنيداً أو غير متعاون ، ومتدمرا ولكن دون مواجهة .

ومعنى هذا بلغة أخرى أن العدوانية المباشرة تكون عدوانية شعورية صريحة حيث يتجه العدوانى من هذا النوع الى إلحاق الأذى بالآخرين أو تدمير الأشياء هادفا الى ذلك صراحة وعلى وعى به .. أما العدوانية غير المباشرة فهي تكون لا شعورية من زواية القصد والهدف فالعدوان من هذا النمط إنما يحدث الأذى بالآخرين أو الأشياء دون أن يكون على وعى بالهدف من ذلك .

ومهما يكن من أمر فإن العدوانية سواء جاءت بشكل صريح ومباشر وكان صاحبها على وعى بهدفه من حيث أدى الآخرين ، أو كانت بشكل غير مباشر بمعنى أن هدفها والدافع إليها يكون بعيدا عن وعى الفرد .. فإن كل ذلك إنما يقف وراءه ولا شك عوامل لا شعورية وبناء نفسى معين يتمخض عن هذه الأشكال العدوانية المتباينة .

وقد صنف جلاجر Gallagher (١٩٨٨) العدوان الى : عدوان سلبى حيث يكون الفرد عنيدا وغير متعاون ومتدمر ولكن بدون مواجهة مباشرة ، والى عدوان إيجابى حيث نجد الفرد يواجه الآخرين بعدوانه المباشر عليهم .

أما فاروق عبدالسلام (١٩٩٠) فيرى أن مظاهر وأشكال السلوك العدوانى تنقسم الى الأنواع الآتية :

- ١- عدوان جسمى : مثل الضرب والدفع والبصق على شخص والقفز واغتصاب شىء والخنق ، والعدوان الجسمى قد يتم عند الاستفزاز وبدون استفزاز .
- ٢- عدوان لفظى أو رمزى : مثل التهديد اللفظى والمطالب الملحة والوعيد والإيماءات والحط من قيمة الآخرين .
- ٣- عدوان على شكل جيشان عاطفى : مثل نوبات الغضب .
- ٤- عدوان غير مباشر : أى الهجوم أو الأيذاء عن طريق شخص آخر أو شىء آخر .
- ٥- عدوان سلبى : كالغناد والمماطلة والتعويق المتعمد .

ويذكر نبيل حافظ ونادر قاسم (١٩٩٣) أن هناك أشكالا متنوعة للسلوك العدوانى وهى:

أ- العدوان المادى : ويقصد به أن يلجأ الطفل الى العنف فى تعامله مع الموقف المشكل أو المحبط الذى يوجد فيه ، عن طريق ضرب من يقدر على ضربه من أقرانه ، أو تكسير الأشياء وتمزيقها سواء تمت له أو للآخرين أو إحداث الأصوات العالية ، أو غلق الأبواب بشدة ، وذلك للاحتجاج على الوضع الذى يوجد فيه ، والذى لا يرضيه ، وقد يستعين بالكبار للانتقام ممن يضايقونه .

ب- العدوان اللفظي : ويقصد به أن يلجأ الطفل الى السباب والشتائم أو الاعتراض بألفاظ غاضبة ، أو الصراخ والشوشرة حين يحدث في الموقف الذى يوجد فيه ما يعكر صفو حياته المعتادة ولا يتيح له إشباع حاجاته ، وقد يلجأ الى استعداد الكبار على من يسبب له ضيقا أو ألما أو يلجأ الى المكر والحيلة لتحقيق أهدافه الخاصة .

ج- العدوان السلبي : ويقصد به أن يلجأ الطفل الى الهروب من المواقف الضاغطة والمحبطة ، حتى يتلافى ما لا يتفق مع رغباته الشخصية ، ولكي يتحلل من التزاماته الأسرية والمدرسية والاجتماعية فى مجالات العيشة والاستذكار وغيرها .

وقد خلص المؤلف من التقسيمات السابقة الى أن السلوك العدوانى يتحدد فى مظهرين هما :

١- عدوانية صريحة موجهة نحو الآخرين ، وتأخذ الصور الآتية :
عدوان مادي يتضمن إلحاق الضرر بالآخرين أو الأشياء ، وعدوان لفظي يتضمن اللعن واللوم والنقد والسخرية والتهكم ، والصياح وغير ذلك . وعدوان غير لفظي ويتضمن التجهم والعبوس ، ومظاهر الغضب ، ونظرات الاحتقار والبصق وغير ذلك .

٢- عدوانية مستترة موجهة نحو الذات ، وتأخذ نموذجا من الصور الآتية : أحاسيس ذنب ، وشعور بالإثم ، إيذاء النفس ، لوم الذات ، ويصاحب ذلك اضطرابات سيكوسوماتية تتمثل فى الأوراق والتعب والمغص والإسهال والقيء .

الاتجاهات المفسرة للعدوان :

تعددت الاتجاهات التى تناولت تفسير السلوك العدوانى ، وذلك لتعدد زوايا الرؤيا والأسس النظرية والمنطلقات الفكرية للاتجاهات السيكولوجية المتعددة ، وسوف يتناول المؤلف العدوان من خلال الاتجاهات الرئيسية التى تعرضت له ، وهذه الاتجاهات هى :

- ١- الاتجاه السيكودينامى .
- ٢- الاتجاه السلوكى .
- ٣- الاتجاه الإنسانى .

١- الاتجاه السيكودينامى Psychodynamic approach :

ويفترض هذا الاتجاه أن العدوان يمثل دافعا فطريا ، ويعد فرويد Freud أول راند لهذا الاتجاه حيث يرى أن الإنسان لديه غريزة تعرف باسم Thanantos أى دافع الموت ، والذي يعمل متعارضاً مع Eros وهى غريزة الحياة .

ويوضح فرويد أن السلوك العدوانى فطرى غريزى قائم بذاته فى نفس الإنسان . واعتبر عدوان الإنسان على نفسه أو على غيره تصريفاً طبيعياً لطاقة العدوان الداخلية التى تنبه وتلح فى طلب الإشباع ، لذلك فهو يعتبر العدوان تدميراً للذات فى الأصل وقد اتجهت الى الخارج نحو موضوعات بديلة ، فالشخص يقاتل الآخر وينزع الى التدمير لأن رغبته فى الموت قد عاقتها قوى لغزائز الموت .

فى حين يرى أدلر Adler وهو أحد المنشقين على فرويد أن العدوان هو الدافع الأساسى فى حياة الفرد والجماعة ، وأن الحياة تنحو نحو مظاهر العدوان المختلفة من سيطرة ، وتسلب ، وقسوة ، وأن العدوان هو أساس الرغبة فى التمايز والتفوق ، وهذا ما دعاه الى أن يقرر أن العدوان هو أساس إرادة القوة ، وأن إرادة القوة هى أساس الدوافع الإنسانية .

وربما يرجع الفضل لإدلر فى تأكيده على أن العدوان وهو ما يطلق عليه " الرغبة فى القوة Will to Power " هو الأساس فى الحياة البشرية ، والشعور بالدونية (عقدة الرجل الصغير مثل نابليون) تنمى داخل صاحبها اشتياقاً تعويضياً فى صراعه للقوة حتى الحضارة نفسها تنشأ من حاجة الإنسان لزيادة قوته وجها لوجه أمام الطبيعة .

وذلك أن الإنسان عن إدلر فى صميمه كائن اجتماعى لديه بالفطرة اهتمام اجتماعى فيتجه الى أهداف تتيح له أن يتخلص من الدونية فى تحقيقه للتفوق ، وهو لديه بالفطرة دافع للنضال من أجل التفوق ، وهو الدافع الأساسى الذى تتفرع منه كل الدوافع الأخرى ومن هنا يستحدث الفرد " أسلوب الحياة " وهو طراز تهديه فى تحديد مسالكه ، وقد انتقل أدلر فى تطوره الفكرى من من العدوانية الى القوة ، الى التفوق كهدف للحياة ، بحيث يمكن القول بأن التفوق ، أى العدوانية هى الأساس بدلا من الجنسية عند فرويد ، والدونية بدلا من القلق ، وأسلوب الحياة بدلا من ميكانيزمات الدفاع .

بينما ترجع كارن هورنى Karn Horney وهى من الفروديين الجدد العدوانية الى القلق الذى يحدث نتيجة لاضطراب العلاقة مع الذات ، واضطراب العلاقة مع الآخرين من حيث شعور الطفل بالعجز والعزلة عن الآخرين والعدوانية تجاه عدوانية الآخرين ، لكن الظروف الأسرية هى وحدها التى تحدد للطفل دلالتها ، فتعمل على إظهار القلق وتدعيمه أو على إزالته بالحب والمساندة ، وتدفع محصلة تفاعل العوامل الداخلية لدى الطفل مع العوامل الخارجية بيئته الى أن يتخذ من العالم أحد الاتجاهات الآتية :

- أ- اتجاه ضد الآخرين .
- ب- اتجاه مع الآخرين .
- ج- الانسحاب بعيدا عن الآخرين .

وهو ما يمكن ترجمته بالعدوانية الموجهة للخارج والعدوانية الموجهة للداخل ضد الذات

وتذهب كلاين Klein الى أن العدوان موجود داخل الطفل منذ بداية الحياة ، وربما قبل الميلاد ، ومن ثم يصبح في حوزة الطفل عالم داخلي من الخيالات ، وفي العالم تتتابع عواطف الكراهية العنيفة تارة ، وتمتزج تارة أخرى . وتعتقد كلاين أن قدرة الفرد على أن يخبر كلا من الحب والنوازع الهدامة يعبر عن استعداد فطري يختلف من فرد الى آخر في القوة والتفاعل مع الظروف الخارجية ، ويكون الدافع العدوانى عنيفاً حتى جداً أن الطفل يمر بخبرات من القلق الشديد ، وتعتقد أن النوازع الهدامة تنبثق من إعادة توجيه غريزة الموت نحو العالم الخارجى ، وتكتب عن العدوان على أنه كراهية وشراسة ، وطمع وحسد وحنق ، وتولى اهتماماً ضئيلاً بأى نواحي ايجابية فيه .

ويقرر لورنز Lorenz أن العدوانية تمثل نظاماً فطرياً يولد بذاته بشكل مستقل عن أى تنبيه خارجى . والعدوانية أساس تكيف بيولوجى ذى دافع فطرى نشوئى يعمل على بقاء الإنسان .

ويرى سكوت Scott أن العدوانية تنشأ فى الأصل كقوة فطرية ذات أصل نشوئى رافقت تطور الكائن الحى فى مراحلها المختلفة .

وتذهب كورسينى Corsini الى أن طاقة العدوانية تتولد تلقائياً وباستمرار داخل الفرد ، وبمعدل ثابت وبمرور الوقت ينمو نشاط العدوانية ، وكلما ازداد تراكمها كلما كانت الحاجة الى المثير ضعيف لكى يتم تفجيرها أو الخروج بها فى صورة سلوك عدوانى صريح واضح . ويعتبر إفراغ هذه الطاقة من خلال قنوات اجتماعية هو أفضلها ، وأفضل مثال لذلك هو التنافس فى مجال الرياضة .

وتجدر الإشارة الى بعض التحفظات التى أثرت حول هذا الاتجاه فىرى سيرز Sears أن النظرة التى ترى أن العدوان غريزى Instinctive وبالتالي تفترض أن هذا الجانب التدميرى جزء من الطبيعة البشرية لم تساعدنا كثيراً فى فهم سبب لجوء بعض الأفراد دون البعض الآخر الى ارتكاب جرائم كالسرقة مثلاً ، أو الاعتداءات البشعة ، أو حوادث القتل ، أو الاغتصاب ، أو الإغتيالات أو لماذا يصبح هذا الشخص بالذات مجرماً بينما الآخر من رجال البوليس؟! عموماً سواء كانت وجهة النظر هذه صحيحة أو خاطئة فإنها بلا شك تمدنا بإحدى الطرق التى يمكن من خلالها تفسير السلوك مع الأخذ فى الاعتبار العوامل الأخرى التى تسهم فى ارتكاب الفرد لعمل إجرامى عنيف .

ويتسنى للمؤلف أن يرد على تحفظ سيزر هذا ، ذلك أن العدوان هو غريزة لدى كل الناس عندما يتم إعلانها بتغيير هدفها ، أو موضعها ، وذلك بضربها ضربا مائلا ، فإنها تعبر عن نفسها في صورة مسالك مقبولة اجتماعيا ، فالجراح تمت إعلاء العدوانية لديه وهناك العديد من نماذج السلوك المقبول اجتماعيا الناجم عن إعلاء الغريزة العدوانية .. وعندما لا يتم الإعلاء فإن العدوان يعبر عن نفسه في صورة العديد من الأشكال غير المقبولة اجتماعيا ، وقد تمثل عدونا مباشرا على الذات ، وبشكل صريح كما هو الحال في الأعصاب والأذنهة .. أو عدوانا على الآخر قد يصل الى القتل ، الأمر الذي يؤدي بالقاتل الى الوقوع في الإكتئاب ، والذي قد يتأدى به الى الانتحار ، فهو عدوان على الذات ، وإن كان بطريق غير مباشر .. وقد يكون العدوان في صورة مسالك مضادة للمجتمع كالسرقة وغيرها من الجرائم ، وهنا أيضا يكون عدوانا بشكل غير مباشر على الذات ، لأن المجرم سوف يقع في وقت ما تحت طائلة القانون ليعانى العقاب .

٢- الاتجاه السلوكي Behavioristic approach :

ينظر علماء السلوكية مثل (ولبي وسولتر) الى الإنسان كتنظيم من العادات التي اكتسبها وتعلمها ، وهي عادات تعد محصلة المثيرات التي تعرض لها في البيئة فاستجاب لها استجابات معينة ، تم تعزيزها وتدعيمها لأنها حققت له أهداف كان يتطلع إليها في حياته ومن ثم تبدو شخصية الإنسان في نظر السلوكية كنتيجة لعملية التعلم .

وسوف نتعرض للعدوانية في هذا الاتجاه من خلال ثلاثة تيارات سلوكية ، وهي السلوكية التقليدية ، وتعديل السلوك ، والتعلم الاجتماعي . ففي السلوكية التقليدية يرى أصحاب هذا التيار دولارد وآخرون Dollard and Others أن العدوانية تأتي نتيجة إحباط سابق أو توقع لهذا الإحباط .

وقد أكد دولارد أن العدوان دائما هو النتيجة المنطقية للإحباط والعكس ، وجود الإحباط يؤدي دائما الى شكل ما من أشكال العدوان .

ويوضح دولارد وآخرون (١٩٣٩) أن تدخل عائق يعترض السلوك المتجه الى الهدف هو الإحباط ، والإحباط يؤدي إما الى استجابة بديلة أو الى العدوان ، فإذا ما انسد الطريق أمام العدوانية فمن الممكن أن تتجه هذه العدوانية ضد بديل أو تنقلب الى الداخل لتصبح عدوانية ضد الذات .

واتفق معهم هاريمان Hareman (١٩٧٨) عندما قرر أن كثافة العدوانية تتناسب مع حجم وكثافة الإحباط ، فكلما زاد احباط الفرد زادت عدوانيته . وقد توصل دولارد ومعاونيه لبعض الاستنتاجات العامة عن العلاقة بين الإحباط والعدوانية ، والتي يمكن اعتبارها بمثابة الأسس النفسية المحددة لهذه العلاقة :

أولاً : تختلف شدة الرغبة في السلوك العدواني باختلاف كمية الإحباط الذي يواجهه الفرد ويعتبر الاختلاف في كمية الإحباط دالة لثلاثة عوامل هي شدة الرغبة في الاستجابة المحببة ، مدى التدخل أو إعاقة الاستجابة المحببة ، عدد المرات التي أحبطت فيها الاستجابة .

ثانياً : تزداد شدة الرغبة في العمل العدائي ضد ما يدركه الفرد على أنه مصدر لإحباطه ، ويعتبر كف السلوك العدائي في المواقف الإحباطية بمثابة إحباط آخر يؤدي إلى ازدياد ميل الفرد للسلوك العدواني ضد مصدر الإحباط الأساسي ، وضد عوامل الكف التي تحول دونه والسلوك العدائي ، ويؤدي هذا إلى تنوع السلوك العدائي ، وتنوع الموضوعات التي يوجه إليها هذا السلوك .

ثالثاً : أن العدوان لا يوجه ضد الذات إلا إذا كانت عوامل الكف التي تحول دون توجيه العدوان ضد الخارج أقوى من تلك التي تحول دون توجيه العدوان ضد الذات ، فإذا ما تساوت عوامل الكف ، فإن العدوان ضد الذات يصبح احتمالاً أقوى إن اعتقد الفرد أنه مسئول عن الإحباط .

رابعاً : تعتبر استجابة العداة التي يستجيب بها الفرد ضد مصدر إحباطه بمثابة تفرغ لطاقته النفسية .

إن الصياغة الجديدة لنظرية الإحباط – العدوان بناء على التعديل الذي قدمه بيركويتز Berkowitz (١٩٦٩) تسلّم بأن الإحباطات البيئية تؤدي إلى استثارة انفعالية ، وهذه بدورها تزود السلوك العدواني بالطاقة ، فالقوى التي تستثير وتوجه العدوانية هي استجابات للبيئة .

وقد اهتمت الدراسات الكلاسيكية القديمة بالموثرات السلوكية للإحباط حيث قام كلا من باركر وآخرون **Barker and Others** بدراسة مكنوا فيها الأطفال من رؤية حجرة مليئة بالدمى واللعب والعرائس الجذابة لكنهم لم يسمحوا للأطفال بدوخل الحجرة ، واكتفوا بوقوفهم من الخارج يشاهدون اللعب ، يودون اللعب بها ، لكنهم غير متمكنين من الوصول إليها ، وبعد انتظار فترة من الوقت سمحوا للأطفال بالوصول إليها واللعب بها ، في حين تركوا مجموعة أخرى من الأطفال يلعبون مباشرة بالدمى والعرائس دون مانع منها من البداية . وقد وجد الباحثون أن الأطفال الذين أحبطوا في البداية مالوا إلى التحطيم والتعامل مع الدمى بشكل عنيف في حين أن الأطفال الذين لم يحبطوا كانوا أكثر هدوءاً ، وأقل عنفاً في تعاملهم مع الدمى .

ويوضح فرج طه وآخرون ما توصل إليه دولارد ومعاونيه من أن العدوان يتولد من النتائج المباشرة للإحباط فالفرد وهو يسعى الى تحقيق أهدافه ينزع الى العدوان إذا ما واجهه عائق يعطله ، وأن هناك فروقا فريدة بين الأفراد في تفسير وتحديد سبب الإحباط وتوجيه عدوانهم المباشر تبعا لمصدر الإحباط وبالتالي يختلف الأفراد في الاتجاه الذي تتجه إليه دفعاتهم العدوانية ، فقد يدرك الفرد أن أسباب إحباط إشباع حاجاته أو أهدافه هو فرد أو جماعة أو أشياء في الواقع المادى الاجتماعى ، وعندئذ يتجه عدوانه نحو السبب . وقد يفسر الفرد فشله في تحقيق أهدافه الى عجزه وفقدانه القدرة على تحقيق أهدافه ، فيتجه بعدوانه نحو الذات في صورة لوم الذات أو حتى تدميرها أى يوجه عدوانه نحو ذاته . وقد لا يستطيع الفرد التعرف على سبب الإحباط أو عدم قدرته على مواجهة مصادره فيكبتة فيكون العدوان هنا غير مباشر ، ويظهر فى شكل بعض الاضطرابات الوظيفية النفسية والعقلية . ويكون العدوان مباشرا على فرد أو شىء هو مصدر الإحباط فى صور مختلفة سواء باستخدام القوة الجسمية أو بالتعبير اللغوى أو الحركى أو بانفصام العلاقة به ، أو بالإيقاع به فى مواقف محبطة وضاعطة وقد يفشل الفرد فى توجيه العدوان مباشرة الى مصدره الأسمى خوفا من العقاب أو نتيجة الإحساس بعدم الندية فيحول الى شىء آخر أو فرد آخر تربطه صلة بالمصدر الأسمى ، وهنا يكون العدوان غير مباشر .

وقد تعرضت هذه النظرية لبعض الانتقادات منها :

١- أن العدوان ينشأ نتيجة لكثير من العوامل بالإضافة الى الإحباط ، وقد يحدث أحيانا فى غياب الإحباط ، وعلى سبيل المثال المرتزقة الذين يقتلون الأشخاص مقابل أجر ، ودون أن يسبق لهم مقابلة ضحاياهم .

٢- أن نظرية الإحباط تتجاهل فئة من الأفراد يتم تدريبهم وتنشئتهم من جانب الآباء ، فالسلوك العدوانى يعتمد على نوع من التدريب والتنشئة التى تلقاها الفرد من قبل ، فالعدوان لا يتم ما لم تتوافر له منبهات ترتبط بعوامل انتقال الغضب سواء فى الماضى أو الحاضر ، وأيا كان مصدر هذه المؤثرات أو المنبهات فإن قوة الاستجابة العدوانية تعتمد على كل من قيمة الدلالة العدوانية للمنبه وشدة الاستعداد للعدوان مثل حدة الغضب أو قوة عادات العدوان .

ويرى المؤلف أن هذه الأسس التى توصل إليها دولارد ومعاونوه عام ١٩٣٩ من خلال دراساتهم عن الإحباط الذى يؤدي حتما الى العدوان بالإضافة الى الصياغة الجديدة لهذه النظرية على يد بيركويتز Berkowitz (١٩٦٩) تعتبر اليوم حقائق علمية قائمة فى ميدان علم النفس أكدتها العديد من الدراسات التالية لها ولم تنجح أى دراسة من الدراسات فى هدم هذه الأسس حتى الآن ، وإذا كان هناك البعض من قبيل بارون وزملائه (١٩٧٧) قد وجهوا نقدا لنظرية الإحباط مؤداه أن العدوان لا يرجع الى

الإحباط وحده وإنما إلى العديد من العوامل ، وأكثر من هذا فقد يحدث العدوان في غياب الإحباط ودلوا على ذلك بمثال أن المرتزقة الذين يقتلون الأشخاص مقابل أجر ودون سبق معرفة بضحاياهم مما يعنى عدم وجود الإحباط من وجهة نظرهم ، ويتسنى لنا أن نرد على هذا النقد ، ذلك أنه يرى احتمال حدوث الإحباط لهؤلاء المرتزقة قديما إبان مراحل طفولتهم أو مراهقتهم مما تآدى بهم إلى أن يكونوا على هذه الشاكلة ، وأكثر من هذا يرى المؤلف أن هؤلاء الأفراد (المرتزقة) يحتمل أيضا أن يكونوا قد تعرضوا لأكثر من غيرهم لإحباط شديد الإسراف الأمر الذى جعلهم يترجمون عن هذا العدوان في قتل الآخرين مقابل الحصول على أجر مادي الذى يكافىء الحب من زاوية التحليل النفسى ، وهكذا فإن هذا السلوك العدوانى لا يمكن أن نرده إلا إلى حدوث إحباط فى وقت سابق ، والدليل على ذلك أنه ليس كل الأفراد يمكن أن يكونوا من المرتزقة ، ويمكن للمؤلف أن يتصور شكل هذا الإحباط فهو يحتمل أن يكون من جراء فقدان الحب من الأبوين وبالتالي اتجاه عدوانى ضد الآخرين ، فكل الآخرين آباء فإذا أعطيتنى المال الذى هو الحب يمكن أن أدمر من أجله أى فرد .

وهناك نقد آخر لهذه النظرية من جانب بندورا وولترز (١٩٦٣) ، عندما ذهبوا إلى أن نظرية الإحباط هذه إنما تتجاهل فئة من الأفراد يتم تدريبهم وتنشئتهم من جانب الآباء حيث يرون أن السلوك العدوانى يعتمد على نوع من التدريب والتنشئة التى تلقاها الفرد من قبل ، ويذهبوا إلى أن العدوان لا يتم ما لم تتوافر له منبهات ترتبط بعوامل انتقال الغضب سواء فى الماضى أو الحاضر . ويرى المؤلف أن الأمر فى العدوان لا علاقة له بالتدريب كما يذهب بانديورا وولترز وإن كان علاقته حاسمة بالتنشئة الاجتماعية ، تلك التنشئة التى لا يمكن أن تخلو عن إحباطات ، فربما نرى فردا لا يستجيب استجابة عدوانية لموقف اجتماعى ما وإنما يتقبل هذا الموقف ويسايره ، وهذا لا يعنى بحال انتفاء العدوان ، فالفرد قد يتعلم أن يكبح عدوانه ، ولكنه فى هذه الحالة يتجه إلى الذات ، وهذا ما يعرفه المؤلف بالعدوان السلبي .

أما بالنسبة لتيار تعديل السلوك فينظر علماءه أمثال أيزنك ، وولبي Eysenck and Wolpe إلى نشأة المسالك المختلفة على أنها تقوم على التشريعات البيئية : التشريط الكلاسيكى ، والتشريط الإجرائى . ومن هذا المنطلق يمكن اعتبار السلوك العدوانى مرتبط بفكرة تحديد معنى القلق كإثارة أوتونومية تحدث عن طريق التشريط الكلاسيكى والتى عادة ما تعرج إلى نوع آخر هو التشريط الوسيلى أو سلوك التجنب الإجرائى . فالكائن الحي من أجل أن يعمل على خفض القلق فإنه يقوم باستجابة تجنب التى من شأنها أن تزيل أو تنهى آثار المثير المؤدى عن طريق التشريط الوسيلى . وبالقدر الذى تكون هذه الاستجابات فعالة فى خفض القلق بالقدر الذى تصبح فيه معززة

فإذا كانت استجابة التجنب عن طريق العدوان هى الفعالة فى هذا الخفض اكتسبت التعزيز وأصبحت من الأنماط السلوكية . فى حين يرى أصحاب تيار التعلم الاجتماعى

وفى مقدمتهم باندورا Bandura أن من أهم المبادئ الرئيسية التى يحدث بواسطتها التعلم هى :

١ - التدعيم Reinforcement ، وهم فى ذلك يتفقون مع باقى تيارات السلوكية الأخرى

٢ - بالإضافة الى تفردهم فى التأكيد على أهمية التعلم عن طريق التقليد بالأنموذج . Imitation by modeling .

التدعيم :

إنه المبدأ الأساسى الذى يحكم نشأة واستمرار العديد من أنواع السلوك ، بما فيها السلوكيات العدوانية ، فكل سلوك يتم تدعيمه (أى تحقق من خلاله كسبا معيناً) فى الماضى أو الحاضر سيستمر فى المستقبل وخاصة فى المواقف المشابهة .

فالأعمال العدوانية هى الى حد كبير استجابات متعملة ، والتدعيم هو بمثابة مسهل وميسر أساسى للعدوان . فالناس تتعلم أداء سلوك معين لأن هذا السلوك أعقبه شىء سار أو إرضاء لحاجة (أو يتعلمون أيضاً أن يتجنبوا سلوكاً ما تعقبه نتائج غير سارة أو مؤلمة) ، فالصبي يتعلم الانتقام والثأر مقابل الإهانات فى المدرسة بالشجار مع الذى أهانه أو عذبه لأن والده امتدحه على دفاعه عن حقوقه حينما فعل ذلك . أو الطالب ربما يتعلم ألا يعارض أستاذه فى حجرة الدراسة لأن المعارضة تغضب الأستاذ وتعبسه .

وقدم باندورا Bandura العوامل التى تساعد على استمرار السلوك العدوانى فى ضوء نظرية التعلم الاجتماعى وتشمل :

* التدعيم المباشر الخارجى : المتمثل بامتداح الوالدين أو المجتمع لسلوك الفرد العدوانى
* تعزيزات الذات : إذ يرى المعتدى أن سلوكه يجلب له نفعاً يحقق له مصلحة ، أو لأفراد أسرته .

* التدعيم البديلى : المتمثل برؤية الفرد المكاسب المادية التى يحصل عليها المعتدى ، وتخلصه من الأضرار المحتملة ، فيحاول هذا الفرد تقليد المعتدى فى عدوانه .

* التحرر من عقاب الذات : بأن يجرد المعتدى عليه من الصفات الإنسانية ، ويقنع بأن المعتدى عليه يستحق الاعتداء عليه . والحاقد الأذى به .

وأوضح كراندال Krandal أن هناك أربع حالات يستطيع أن يتعلم منها الطفل الاستجابات العدوانية ، وهذه الحالات هى :

١ - حالة التدعيم السلبى ، عندما يحصل المعتدى على أهداف بالسلوك العدوانى .

- ٢- حالة التساهل الوالدى تجاه السلوك العدوانى .
- ٣- أن يمثل الوالدان أنموذج الاستجابات العدوانية .
- ٤- حالة التدعيم الايجابى للعدوانية من خلال شعور الفرد بخفض استثارة الغضب والكراهية من خلال الاستجابات العدوانية .

التقليد بالأنموذج :

يذهب باندورا Bandura الى أن ظواهر التعلم التى تنتج من خبرات مباشرة ، يمكن أن تحدث بشكل بدلى عن طريق ملاحظة سلوك الآخرين ونتائجه بالنسبة إليهم ، ومن ثم فبوسع الفرد على سبيل المثال أن يكتسب نماذج استجابية معقدة بمجرد ملاحظة أداء هذه النماذج .

ومن هنا فقد " ترجع نشأة العدوان الى التقليد والأنموذج ، كما هو الشأن عندما يعتدى الصغار بالضرب على الدمى التى يلعبون بها مقلدين فى ذلك الكبار ، سواء أكان هذا الضرب موجها لغيرهم من الكبار ، أو الى الصغار ، أو حتى موجها لهم " .

ويرى باندورا وولترز Bandura and Walters أن تقليد السلوك العدوانى من قبل الآخرين يشتمل على عمليتين جوهريتين أساسيتين هما :

- ١- إعادة استخدام الطفل (الذى يشاهد النماذج العدوانية) السلوك العدوانى الجديد .
- ٢- اختزال عوامل الكف لدى الطفل ، ويسمح له هذا بأن يسلك السلوك العدوانى بطريقة مألوفة ، ويقول باندورا : إن الأطفال يميلون الى تقليد النماذج العدوانية المرغوبة من قبل الكبار ، والتى يحصلون على الثواب إذا قاموا بها بصورة أكبر من النماذج العدوانية التى يعاقبون عليها .

ومن أهم الدراسات التى أجريت فى هذا الميدان تجربة باندورا Bandura عن أثر التقليد فى تكوين السلوك العدوانى لدى الأطفال " أطفال الرياض " وتتلخص فكرة هذه التجربة فى تقسيم عينة من أطفال الرياض الى مجموعتين ، أحدهما تجريبية والأخرى ضابطة ، وقد شاهدت المجموعة التجريبية أحد الباحثين فى سلوكه العدوانى تجاه إحدى الدمى حيث أخذ يضربها ويدوس عليها بقدمه ويركلها برجله ، ولم تشاهد المجموعة الضابطة هذه العملية . ثم تركت كل مجموعة لتعذب ببعض الدمى الشبيهة بالدمية التى أوقع عليها الباحث الضرب والركل ، وبلعب أخرى غيرها . وقد سجل الباحثون سلوك الأطفال فى المجموعتين دون أن يرى الأطفال الباحثين الذين يرصدون نشاطهم أثناء لعبهم . ودلت نتائج هذه التجربة على أن سلوك أطفال المجموعة التجريبية أصبح عدوانيا تجاه تلك الدمية ، ولم يتغير سلوك أطفال المجموعة الضابطة الى هذا المسلك العدوانى .

ويرى المؤلف أنه لا يمكن أن يقتصر الأمر في العدوان على تعلمه عن طريق التقليد والتدعيم .. فهذا تركيز محض على أثر البيئة في إنكار تام لأثر الوراثة ، فلم يعد ينظر الى الفرد على أنه مرآة للمجتمع .. ذلك أنه أصبح من المقطوع به الآن أن الشخصية وكافة ظواهرها لا يمكن أن تقتصر على الوراثة فحسب ، أو البيئة فحسب ، بل هي محصلة للصراع بين ما هو وراثي وما هو بيئي .

٣- الاتجاه الإنساني Human attitudes :

يناصر الاتجاه الإنساني القيم الذاتية للإنسان ، وأنه لديه إمكانية النمو السوي والتحكم في سلوكه ومصيره من خلال إدراكاته . وسوف يعرض المؤلف لمفهوم العدوانية من خلال التيارات الرئيسية في هذا الاتجاه ومنها : المتمركز على الشخص – البدائيلية الإنشائية – الجشطلتي – الوجودي .

يؤكد روجرز Rogers في التيار المتمركز على الشخص على أن الناس خيرون في الأساس ولذلك فإنهم ليسوا في حاجة الى ضبط اجتماعي ، بل وأكثر من هذا فإنه يعتقد أن محاولة ضبط الإنسان هي التي تجعله يسلك سلوكا سيئا .

ونظرة روجرز – هذه – الى الطبيعة الإنسانية تجعله واحدا من دعاة الاتجاه الإنساني في علم النفس ، حيث يقرر (١٩٦١) : " إن تعاطفي ضئيل مع المفهوم الشائع بأن الإنسان في أساسه غير عقلاني ، وأن نزعاته إذا لم تتم السيطرة عليها فسوف تؤدي الى تدمير غيره وتدميره هو أيضا . إن سلوك الإنسان عقلاني ورائع ، ويتحرك في تعقيد بالغ الدقة والنظام نحو الأهداف التي يحاول تكوينه العضوي الأول الوصول إليها " .

ومع هذا فإن روجرز يدرك – بطبيعة الحال – أن الأفراد يتصرفون في بعض الأحيان بطرق غير ملائمة ولكنه يذهب الى أن هذه التصرفات لا تتسق مع الطبيعة الإنسانية ، إنها من الخوف والأساليب الدفاعية . فيقول روجرز " وأنا على وعي تام بأن الأفراد نتيجة لخوفهم الداخلي ولدفاعاتهم قد يسلكون ، بل ويسلكون فعلا بطرق قاسية على نحو غير معقول ومدمرة تدميرا مفرعا ، وغير ناضجة ونكوصية ، ومضادة للمجتمع ومؤذية

وفي القضية الحادية عشرة من القضايا الإثنتين والعشرين التي يقدمها روجرز عن تصوره للشخصية الإنسانية يقرر بأنه مع حدوث الخبرات في حياة الفرد فإنها إما أن :

- أ- يعبر عنها رمزيا وتدرج وتنظم في علاقة ما مع الذات .
- ب- أو يتم تجاهلها لعدم وجود علاقة مدركة مع بنية الذات .
- ج- أو يتم إنكار الصورة الرمزية بالنسبة لها ، وتشوّه لأنها لا تتسق مع بنية الذات .

وإذا كان الإدراك إنتقائى ، وأساس الانتقاء هو مدى إتساق الخبرة مع صورة الذات لدى الفرد فى أثناء عملية الإدراك . وإنكار الخبرة معناه تزييف الواقع ، سواء أكان ذلك بالقول لعدم وجوده ، أو بإدراكه فى صورة مشوهة . فقد ينكر الفرد مشاعره العدوانية لأنها تخالف صورته المسالمة الودودة ، وفى هذه الحالة يغير من مشاعره بإسقاطها على الآخرين ، وعن طريق تصوير رمزى .

ومما سبق يتبين لنا أن روجرز كواحد من أعلام التيار الإنسانى فى علم النفس قد تحدث عن العدوانية ، ولم ينكرها بحال رغم تقريره بالطبيعة الخيرة للإنسان ، وقد أرجع روجرز سبب ظهور العدوانية ، والسلوك المضاد للمجتمع بوجه عام الى سببين هما الخوف والدفاعات .

وفى تيار البدائية لكيلى Kelly تعد نظريته عن الشخصية من النظريات الهامة فى هذا الصدد : " ذلك أن كيلى فى الأساس – فينومينولوجى فيعتقد أن الخبرة الشعورية البكر ينبغي أن تكون مركز اهتمام علم النفس ، ولا ينبغي أن نهتم بمن أين صدرت هذه الخبرات ، أو تقسيمها ، كما يمكن اعتبار نظرية كيلى عن الشخصية نظرية وجودية ، من حيث إنها تؤكد على المستقبل لا على الماضى ، ولأنها تفترض أن الناس جميعا أحرار فى اختيار قدرهم ، وأكثر من هذا فإنه يمكن اعتبارها نظرية إنسانية لأنها تؤكد على قدرة الناس المبدعة ، وعلى خيرية الإنسان وقدرته على حل مشكلاته " .

ومهما يكن من أمر فإن الذى يعيننا فى نظرية كيلى إجابته وتفسيره على السؤال الذى طرحه : لماذا يظهر الموظف الذى يسعى للترقية اتجاهها عدائيا نحو رئيسه ؟ ويجيب كيلى مفسرا بأننا لا نبحث عن اللذة ، ولا نسعى للحصول على مكافأة فى الحياة ، وإنما نسعى لتحسين قدرتنا على التنبؤ فالموظف يجد بديلين أمامه هما : إما العداة والخصومة ، أو الخضوع والمسايرة إنه يقدر العداة والخصومة لأنه يعرف ما يتوقع حين يعبر عن العداة نحو رئيسه . أما اختياره للخضوع فإنه يعنى أن يعيش فى شك وفى غير يقين ، وإذا كان هذا العداة لم يسفر عن مكافأة أو لذة ، وإنما تأدى الى الألم والتعاسة إلا أنه كان متأكدا من المستقبل " .

ويؤكد كيلى على اللازمة الثنائية Dichotomy Corollary حيث يقرر " يتألف نسق الشخص التكويني من عدد محدود من التكوينات الثنائية أو ذات القطبين ، ومن هذا التصور أو التكوين الشخصى الخاص (ودى / عدائى) تتأدى الى أنه لكى يكون الفرد غير ودود لابد أن يكون عدائيا ، ولكن هل من المعقول أن نقول أن الأشياء غير الودية هى كثيرة فى العالم عندئذ عدائية ؟ الإجابة هى بالنفى ، لأن التصور أو التكوين الشخصى (ودود / عدائى) شأنه شأن التكوينات الشخصية جميعا يتصل ويتعلق فحسب مجموعة من الوقائع . وهذا الجانب من التكوينات الشخصية يوصف فى لازمة المدى

(التكوين مريح فى التنبؤ ، أو فى توقع مدى محدود من الوقائع فحسب) .

ويؤكد كيلي على أن الجوانب الوحيدة التى تتدخل فى أسلوب المحاولة والخطأ الذى يحاول به الفرد أن يعرف العالم ويراه على نحو صحيح هى الشعور بالإثم والكرهية . فالكرهية هى " الجهد المستمر لانتزاع شاهد ما على مصداقية نوع من التنبؤ الاجتماعى الذى أخطأ إدراكه " والشعور بالإثم هو " الوعى بارتحال الذات عن البنية الأساسية لدورها " . أى هو الشعور الذى نشعر به حين نغفل بما يتناقض مع التنبؤات بسلوكنا .

ومما سبق يتضح أن كيلي وهو الذى لا يتحدث عن اللاشعور بينما يركز على الاهتمام بالخبرة الشعورية البكر ، ولا يؤكد على الماضى بل يؤكد على المستقبل ، ولا يفترض نزعات أصلية للشر والعدوانية لدى الإنسان ، وإنما يؤكد خيرية الإنسان ، مع كل هذا لم ينف وجود الاتجاهات العدائية من الفرد تجاه الآخرين وفسر القيام بمسالك عدوانية على أنها وسيلة للوصول الى الهدف الذى يتنبأ به الفرد تنبؤاً صحيحاً ، حيث يؤكد على أنه ينبغى على الفرد ألا يهدف الى الحصول على اللذة أو على مكافأة فى حياته ، وإنما ينبغى أن يسعى لتحسين قدرته على التنبؤ ولو سلك فى سبيل ذلك مسلماً عدوانياً .

وإذا كان المؤلف قد تحدث عن نظرية روجروز ، ونظرية كيلي بحسبانهمان نظريتان تندرجان تحت التيار الإنسانى فى علم النفس فإن المؤلف يرى من الضرورى أن يستجلى رأى ماسلو Maslow فى العدوان ، وهو الذى كان المتحدث باسم علم النفس الإنسانى ولقد قام بهذا بحماس شديد كما لو كان يدافع عن عقيدة .

ويتسنى للمؤلف أن يؤكد على أن وحدة بناء الشخصية عند ماسلو هى زملة الأعراض Syndrome وقد عرفها بأنها " مركب منظم من الخصائص الظاهرة المتنوع - عناصر سلوكية ، وأفكار ، ونزعات للعقل ، ومدركات .. إلخ - التى لها وحدة مشتركة " ، فالفرد الذى ينخفض تقديره الذاتى لديه قد ينعكس فى أفكار وأفعال مدركات تبدو فى ظاهرها منفصلة ولا رابط بينها بالمرّة ، ولكن الدراسة والتعمق تكشف عن علاقة دينامية بينها وبين محاولته استعادة تقديره لذاته " .

ومن الخصائص التى حددها ماسلو لزملة الشخصية ، ما يلى :

١- أن أجزاء الزملة يحل بعضها محل البعض الآخر بمعنى أنها قابلة للتبادل ، فإذا بذل الفرد جهداً لينال الخطوة عند رئيسه فى العمل ، وذلك لإشباع حاجته الى الأمن ولم يفلح فإنه يستطيع أن يلجأ الى عدد من المسارات الأخرى لتوفير الأمن النفسى لذاته .

٢- تتميز الزملة بخاصية الدائرية من حيث التأثير والتأثر " الإحالة المتبادلة " أى أن الجزء لا يؤثر فى الآخر بالمعنى الاختزالى التحليلى وإنما تتصل هذه الأجزاء إتصلاً

ديناميا فالخوف من الآخرين ليس ببساطة سببا للعداء نحوهم ، كما أن العداء نحوهم ليس سببا للخوف منهم إن هذين الجزئين من الزملة سببان ونتيجتان الواحد منهما للآخر ، أى أن كل منهما يتصل بالآخر اتصالا ديناميا .

٣- الزملة تقاوم التغيير وتميل الى المحافظة على نفسها ، وأن تعيد ترسيخ نفسها بعد التغيير ، غير أن الزملة حين تتغير فإنها تفعل ذلك ككل ، وليس جزئيا لأنها وحدة وجشطلت . والتغير المميز الذى يحدث للزملة هو ميلها واتجاهها الى مزيد من الإتساق ، وهكذا فإن الشخص غير الآمن يميل أن يصبح غير آمن فى جوانب متزايدة من حياته

ومهما يكن من أمر فإن ماسلو يفسر السلوك العدوانى بالرجوع الى الارتباط القائم بين تقدير الذات ، والإحساس بالأمن ، فالشخص الذى يتميز بتقدير عالى لذاته ، وإحساس عالى بالأمن يتميز سلوكه بما يشير الى قوة الشخصية وحب الآخرين ، وعلاقة الرحمة بهم والحماية لهم . أما الشخص الذى يتميز بتقدير عالى لذاته وإحساس منخفض بالأمن فإن سلوكه يتميز بكراهية واحتقار الآخرين ، والخوف منهم ، كما يستخدم القوة والعدوان لاىذاء الآخرين والسيطرة عليهم .

وبعد أن انتهى المؤلف من عرض تفسير السلوك العدوانى من وجهة نظر أكثر المتحمسين لعلم النفس الإنسانى وهو ماسلو ، ذلك الذى أرجع السلوك العدوانى غير السوى الى الشخصية المتميزة بتقدير عال للذات مع افتقارها فى ذات الوقت للإحساس بالأمن – فىرى الباحث أنه من الأهمية بمكان أن يعرض لوجهتى نظر كل من بيرلز Perls ممثلا لمدرسة الجشطلت ، ورولوماى Rollomay ممثلا للوجودية ، وذلك حتى تكتمل اللوحة ويكون المؤلف قد عرض للعدوانية فى الاتجاه الإنسانى لدى مختلف العلماء والمدارس التى تنضوى تحت هذا الاتجاه .

فبالنسبة لبيرلز Perls فإن العدوانية لديه هى " وسيلة الكائن الحى للتعامل مع بيئته من أجل إشباع حاجاته ، وبه يواجه كل مقاومة تقف حائلا فى طريق إشباع تلك الحاجات فالعدوان عنده لا هو غريزة ، لا ولا هو طاقة ، وإن كان يضطلع بوظيفة بيولوجية .. به يتعامل مع البيئة لإشباع حاجاته وبه أيضا يتغلب على العقبات القائمة فى البيئة والتى تحول دون الإشباع .. ومعنى هذا أن وظيفة العدوان ليست التدمير أو التحطيم ، وإنما هى استبعاد (أو التغلب على) كل مقاومة قائمة فى الحقل تحول دون إشباع الحاجات ، مع ترك الشئ – قدر المستطاع – سليما ليتسنى استخدامه فى عملية الإشباع " .

وهذه الرؤية إنما تساير ما يؤكد بيرلز بكلماته عندما يقول : إننا لا ندخل المنطقة التى لا نعرف عنها شيئا وهى ما يسمى بالاشعور ، فقط نغير جل اهتمامنا لما هو واضح وجلى وعلى السطح كله – ويسطرده – أننى لا اعتقد فى الكبت ، فنحن لا نستطيع أن نكبت حاجة ما ، وإنما نستطيع أن نكبت فقط تعبيرات معينة عن هذه الحاجات " .

ويرى بيرلز " أن العدوان يشبه عض أو قضم الطعام لإشباع الجوع ، كما يرى أن استخدام الأسنان يعتبر أفضل تعبير بيولوجي عن العدوان .. هذا العدوان بالأسنان يخدم عدة أغراض فهو يخلص الفرد من الهياج أو الثورة وينأى به عن عقاب ذاته بالتهجم والجوع ، وفي نفس الوقت فإنه ينمي الذكاء ، ويكون الفرد على وعى تام بأنه فعل شيئاً جيداً لصحته " .

ويرى المؤلف أن بيرلز مع إنكاره اللاشعور وللكتب فإنه لم يستطع أن يتخلص تماماً من تدريبه المبكر على التحليل النفسي ، وكل ما فى الأمر أنه استبدل الغريزة الجنسية فى التحليل النفسى بغريزة الجوع وجعلها هى الغريزة الأساسية .. وعندما يذهب بيرلز الى أن العدوان إنما هو وظيفة بيولوجية لإشباع الجوع وبالتالي فهو يخلص الفرد من الهياج ، ومعنى ذلك – فى رأى المؤلف – أنه يضطلع بعملية تصريف ، والتصريف – كما هو معروف – لا يقوم إلا فى حالة وجود طاقة تحتاج إليه .. ومن ثم يتضح بجلاء أن بيرلز وقع فى تناقض مع نفسه عندما ذهب الى أن العدوان ليس بغريزة ولا طاقة .

فإذا انتقلنا الى رولماى Rollomay فهو يرى من خلال نظرية الوجودية أن كل شخص لديه حاجة الى توكيد الذات وذلك من أجل إثبات وجوده ، هذه الحاجة لا يتأتى الوصول إليها إلا من خلال امتلاك الفرد للقوة التى تمده بالشجاعة التى يواجه بها صراعه وتحديه للقوى المعارضة ، ومن أجل الحياة .

ومن خلال هذا التصور فهو ينظر الى العدوان على أنه مخرجة ، هو تحرك الى الخارج نحو شخص أو شىء ما يراه الفرد مختلفاً عنه من أجل محاولة اكتساب القوة والهيبة والاحترام ، والسيطرة على الآخرين ، من أجل ما يكرس له الفرد نفسه من مبادئ واهتمامات .. فالعدوان هو الفعل الذى يتحرك الى منطقة الآخر من أجل إعادة بناء القوة ويظهر هذا العدوان فى المجال عند النقطة التى ينبثق فيها الصراع على السطح بشكل علنى ، وهذا الصراع ليس صراعاً لا شعورياً وإنما هو صراع شعورى صريح Overt Conflict ينبثق من مجاهدة الفرد لنفسه .

وتتباين أشكال العدوان – بحسب رولوماى – بسبب تباين المعنى الأصيلى اللاتينى للكلمة Aggredi والتى تعنى الاقتراب والتقدم أو التحرك الى الأمام وهى تستعمل فى معنيين ، الأول الاقتراب من شخص ما للحصول على النصيحة أو الحب ، والثانى التحرك ضد شخص أو نحوه بنية الأذى .. ويؤكد رولوماى على أن السلام ليس هو تقيض العدوان وإنما هى العزلة والتى ينعدم فيها الاتصال تماماً .

ومما سبق فإن هذا الدياليكتيك من التحرك نحو أو ضد الآخر هو الذى يحدد الأشكال المتباينة للعدوان ويصنفها رولوماى على النحو التالى :

١- العدوان التخريبي : وهو التحرك نحو الآخر بهدف سلب القوة منه ، وذلك من أجل حماية ذاتية الفرد أو زيادة قوته ، وبغرض توقيح الأذى والألم على الآخرين .. وهذا العدوان ينقسم بدروه الى :

أ- عدوان موجه الى الخارج .

ب- عدوان موجه ضد الذات .. حيث يمارسه الفرد داخل الذات .

٢- العدوان البناء (*) : وهو يعنى اختراق الحواجز من أجل إنشاء علاقة مع الآخر وليس رغبة فى الأذى ، بل بقصد التغلغل داخل وعى الآخر من أجل صد القوى التى تهدد سلامة الفرد وتحقيق ذاتيته وأفكاره فى بيئات معادية . وهذا الشكل من العدوان يحظى باهتمام أكبر من رولوماى . وعلى جانب آخر ، فعندما يمارس الشخص العدوان البناء ضد الذات وذلك ما يظهر عند الفنانين والأدباء والكتاب عموما فكل هذه الفنون ينبغى أن تكون عدوانية على نحو ما دونما أن يكون بالضرورة ولع أفرادها بالقتال أو الاشتراك فيه ذلك أن معركتهم الحقيقية داخل أنفسهم وتفجير لإبداعاتهم .

ويرى المؤلف أن ما قال به رولوماى عن العدوانية البناءة يتفق معه مخيمر فيما ذهب إليه من أن العدوانية السوية البناءة ما هى إلا الايجابية التى تتضح فى شتى صور الحياة .. وأكثر من هذا فقد كان مخيمر أكثر استبصارا عند عرضة لأشكال العدوان المختلفة حيث يرى أن العدوانية تتخذ عند كل فرد نسقا فريدا من الانتظامات الفرعية تتوزع فيه الاستثمارات ما بين السادية والمازوشية والنظرية والاستعراضية ، بحيث يكون فى تباين هذه الأنساق الفرعية الأربعة من فرد الى فرد ما يقيم الطابع الفردى الفريد للنسق الكلى عند كل واحد من الأفراد .

وهكذا ، وبعد أن عرض المؤلف للعدوانية فى الاتجاهات النفسية المختلفة ، فظهر أن العدوان من وجهة النظر السيكودينامية هو دافع فطرى أو قوة فطرية قائمة بذاتها فى النفس البشرية ويعبر هذا العدوان عن نفسه بأشكال عدوانية متباينة تبعا لتباين السياقات البيئية .

أما من وجهة النظر السلوكية ، فقد رأينا أن السلوكية الكلاسيكية قد أكدت على أن الإحباط هو العامل الحاسم المسبب للعدوانية تلك التى تعبر عن نفسها فى صورة مسالك عدوانية مختلفة سواء كانت لفظية أم مادية أو سلبية .. فى حين نجد أن معدلى السلوك وأصحاب التعلم الاجتماعى لم يحاولوا تفسير العدوان وتبين أسبابه . وأنصب تركيزهم فقط على السلوك العدوانى بحسبانه سلوكا متعلما موضحين أن هذا السلوك يثبت ولا شك عندما يلقى التدعيم والتعزيز .. وفى المقابل يمكن استبعاد هذا السلوك عن طريق الانطفاء .

أما الاتجاه الإنساني وإذا كان يلح بالأهمية ويؤكد على الطبيعة الخيرية للإنسان فإنه لم ينف العدوان .. فنرى بيرلز يؤكد على أن العدوان لا يعنى التخريب أو التدمير وإنما يعنى التغلب على المقاومة التى تعترض إشباع حاجات الفرد دون ضرر بمصادر تلك المقاومات .. وهذا ولا شك جزء من الواقع ، ولكن ألا نرى عدوانا تخريبيا وضارا حولنا؟ هذا ما أغفله بيرلز .. فإذا ما انتقتا الى رولوماى نجد أن العدوان عنده هو واحد من أهم النسق الهامة فى وجود الإنسان ، وهذا العدوان يظهر فى المجال عند النقطة التى ينبثق فيها الصراع على السطح بشكل علنى ، وهذا الصراع ليس صراعا لا شعوريا وإنما هو صراع شعورى ينبثق من مجاهدة الفرد لنفسه ومن أجل محاولة اكتساب القوة والسيطرة لتحقيق المبادئ التى يؤمن بها . وقد قدم رولوماى تصنيفا لأشكال العدوان عرضها الباحث فى الصفحات السابقة .

ويرى المؤلف أن وجهات النظر هذه لا تستأثر واحدة منها بكل الحقيقة وإن كانت ولا شك تنطوى على جزء من الحقيقة .. فالعدوان أساسه فطرى ذلك أنه موجود لدى كل الناس كما يذهب الاتجاه السيكودينامى ، وإنما يظهر عند حدوث الإحباط ويترجم عن نفسه فى صورة مسالك عدوانية متباينة مادية أو لفظية أو سلبية كما تذهب السلوكية الكلاسيكية ، ويمكن لهذه المسالك أن تثبت فى صورة تعلم عندما تلقى التعزيز والتعزيز كما يذهب معدلوا السلوك وأصحاب التعلم الاجتماعى . كما أن فض الصراع الذى هو جوهر الحياة يتطلب بالضرورة للعدوان الذى يغدو ايجابيا عندما يكون حافزا على تخطى الصعاب والعقبات التى يلاقيها الفرد على طريق تقدمه وصيرورته .